193409 - هل في قوله تعالى (وكواعب أترابا) وصف لصدور الحور العين ؟

السؤال

لدي سؤال يجول بداخلي منذ فترة ، ويربك وجهة نظري عن الإسلام ، ويؤثر عليها ، يتعلق الأمر بالآيتين رقم اثنين وثلاثين وثلاثين وثلاثين من سورة النبأ ، حيث يقول تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا) النبأ/31-33.
فما معني هاتين الآيتين ، هل تعني الآية : أن الرجال سيمنحهم الله نساء ذوات صدور جميلة في الجنة ؟
أنا أجد أن قراءتها في نص ديني أمر غير مقبول ، لا أعرف لماذا يتحدث القرآن عن صدور النساء ، فكان من الممكن أن يقول الله بأنه سيمنح الرجال في الجنة نساء جميلات فقط .
فما الحكمة من الإشارة لشكل صدور النساء ووصفها التي ستكون عليها في الجنة ؟

الإجابة المفصلة

بداية نشكر لك تواصلك مع موقعنا ، ونرجو أن تجد فيه النفع والفائدة .
وجوابا على سؤالك نقول إن كل ناقد لأي نص من النصوص ، سواء كانت نصوصا مقدسة أم نصوصا أدبية بشرية لا بد أن يراعي في نقده بيئة النص المتمثلة في الزمان والمكان والأشخاص والأحوال كلها ، وحين يتطلَّبُ الناقد الفهمَ الدقيق لتعبيرٍ معينٍ فإن عليه أيضا أن يدقق في جذر ذلك التركيب وأصله في اللغة التي ورد بها ، واستعمالاته المتعددة ، والمعنى والسياق العام الذي من أجله تستعمل تلك المفردة .
والباحث المنصف هو الذي يفترض دائما عجز الترجمة عن نقل المعنى المقصود كما هو ، وعجزها عن انتقاء الكلمة التي تنقل المفردة بجميع ما تحمله من دلالات ، مراعية البيئة التي استعملت فيها تلك المفردة ، فإن لم يفعل ذلك فقد جازف بالحقيقة التي ينشدها ، ولم يأخذ لنفسه الوثيقة فيما طلب .
ومن هنا نقول لك : إن الترجمة الحرفية لكلمة (كواعب) أنها جمع (كاعب) وهي التي " نتأ ثديها " كما في " مجمل اللغة " (1/787).
يقول ابن فارس رحمه الله :
" (كعب) الكاف والعين والباء أصل صحيح ، يدل على نتوء وارتفاع في الشيء . من ذلك الكعب : كعب الرجل ، وهو عظم طرفي الساق عند ملتقى القدم والساق . والكعبة : بيت الله تعالى ، يقال سمي لنتوِّهِ وتربيعه . وكعبت المرأة كعابة ، وهي كاعب ، إذا نتأ ثديها " انتهى من " مقاييس اللغة " (5/186) ، وانظر " القاموس المحيط " (ص/131) ، " لسان العرب " (1/719) .
هذا هو المعنى الحرفي للكلمة في أصلها اللغوي .

غير أنه من المعيب جدا أن يقتصر الناظر على المعنى الحرفي المعجمي لجذر الكلمة في أي لغة من اللغات ، بل لا بد من مراعاة السياق الذي يستعملها به أهل اللغة أنفسهم ، ألا ترى أن العرب تستمل كلمة (الحائض) على غير معناها الحرفي ، وإنما يقصدون بهذا الوصف : المرأةَ البالغة سن المحيض ، ولا يقصدون التي أصابتها دورتها الشهرية في ذلك الوقت ، وذلك كما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخِمَارٍ) رواه أبو داود (641) ، ومعلوم في الشريعة الإسلامية أنه لا تصح صلاة المرأة وقت حيضها ، بل يحرم عليها ذلك باتفاق العلماء حتى ترتفع دورتها وتطهر منها .

فمن فسر الكلمة بمعناها الحرفي المعجمي وقع في هذا التناقض والخطأ ، ومن فسرها كما يستعملها العرب في كلامهم ، يريدون به المرأة البالغة سن الحيض ، ولو لم تكن حائضا حقيقة : فَهِمَ الحديث على وجهه ، وأدرك طريقة العرب في استعمال الكلام .

وهكذا نقول في وصف المرأة بـ (الكاعب) في اللغة العربية ، لا يراد به وصف جنسي بدني لشيء من أجزاء المرأة ، بقدر ما هو المقصود وصف الفتاة بظهور علامات الأنوثة فيها ، دلالة على صغر سنها ، ونضارة شبابها ، بحيث يمكن أن يتعلق بها الرجال ، فالفتاة في هذه السن تبدأ علامات أنوثتها بالبروز والظهور ، ولكن ليس المقصود بهذه الكلمة ذكر حجم محدد للثدي ، ولا ملاحظة شكله ووصفه ، وإنما المراد تأكيد سن الشباب ونضارة العمر .

يقول ابن الجوزي رحمه الله :

" المرأة طفلةٌ ما دامت صغيرةً ؛ ثمّ وليدةٌ إذا تحرّكت ؛ ثمّ كاعبٌ إذا كعب ثديها ؛ ثمّ ناهدٌ إذا زاد ؛ ثمّ معصرٌ إذا أدركت ؛ ثمّ خودٌ إذا توسّطت الشّباب " انتهى من " أخبار النساء " (ص/228) .

وجاء في " شرح معاني شعر المتنبي " لابن الإفليلي - السفر الأول (2/ 270): " الغلام منهم شاب ، والجارية كاعب " انتهى .

ويقول الإمام الزجاج – وهو من أئمة اللغة الكبار -:

" (وَكَواعِبَ أَتْرَاباً) أي أسنانهن وَاحِدة ، وهن في غاية الشباب والحُسْنِ " انتهى من " معاني القرآن وإعرابه " (4/ 338) .

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله :

" الكواعب : جمع كاعب ، وهي الجارية التي بلغت سن خمس عشرة سنة ونحوها . ووصفت بكاعب لأنها تَكَعَّب ثديُها ، أي صار كالكعب ، أي استدار ونتأ " انتهى من " التحرير والتنوير " (30/ 44) .

فانظر كيف يبين العلماء رحمهم الله أن هذا الوصف (كاعب) إنما يراد به مرحلة من مراحل عمر الفتاة ، ولا يقصد به الوصف الجنسي لبدنها ، وإن كان هو المعنى الحرفي .

تماما كما يستعمل العربي كلمة (الحائض) للدلالة على البلوغ ، ولا يقصدون ملاحظة وجود الحيض نفسه .

ومن الأدلة الظاهرة أيضا أن العرب تستعمل هذا الوصف في الشعر والنثر في سياق ذكر عفة المرأة وتكريمها ، وليس في سياق الوصف الجنسي لإثارة الشهوة واللذة ، والشاعر العربي حين يصف الفتاة بالكاعب لم يطلع على ثديها ، ولم ير حجمه وضخامته ، ولا استدارته أو تدليه ، ولكنه وصف يطلق على كل صغيرة السن شابة ، وذلك من أعف الشعر العذري وأرقه .

ومن ذلك قول بشر بن أبي حازم ، ونسب أيضا لقيس بن عاصم :

وكم من حصان قد حوينا كريمةٍ *** ومن كاعب لم تدر ما البؤسُ ، مُعْصِر .

ذكره الثعلبي في " الكشف والبيان " (10/ 118).

ولهذا قال الماوردي رحمه الله – في تفسير (كواعب) في الآية الكريمة – : " العذارى , قاله الضحاك " انتهى من " النكت والعيون " (6/188) ثم ذكر الشاهد السابق .

وهذا الأثر عن الضحاك أخرجه ابن المنذر ، كما في " الدر المنثور " (8/398) .

ولو تدبرت القرآن الكريم لوجدته دائما ما يكني باستعمال الألفاظ التي تبلغ الغاية في الإشارة ولطيف العبارة ، كقوله عز وجل في وصف العلاقة الزوجية : (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) البقرة/187، وقوله سبحانه : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الروم/21 ، وقوله عز وجل : (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) النساء/43 ، ولو ترجمت هذه الألفاظ بحرفيتها لما علم معناها ؛ لأن ترجمة (اللباس)، (والسكن) ، و(اللمس) ترجمة حرفية لا تؤدي المقصود ، ولكن سياق الآيات يدل على أن المراد بها الكناية ، أو المعنى المجازي لحقيقة المعاشرة الزوجية ، ولكن من زاوية القيمة الروحية لهذه الممارسة ، فإذا ترجمت هذه الكلمات إلى الانجليزية بمعنى الجماع الجنسي البدني فقد يؤدي ذلك إلى توهم أن القرآن الكريم يكثر الحديث عن شهوات البدن ويستعمل الألفاظ المباشرة فيها ، والحقيقة بخلاف ذلك .

نقرر ذلك كي تدرك أهمية مراعاة الناقد الاستعمال العربي في الكلمة بحسب سباقها ولحاقها ، وأهمية مراعاة الفجوة التي تحدثها الترجمة الحرفية بين المقصود الحقيقي وبين الجذر الدلالي للكلمة .

وقد تبين بعد الرجوع إلى مجموعة من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية أن المترجمين اختلفوا في نقل معنى الآية الكريمة (وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا) في سورة النبأ إلى فريقين :

الفريق الأول : نقلها بالمعنى الحرفي للكلمة ، دون مراعاة اللسان العربي في استعمالها في سياق الدلالة العمرية فحسب . فكانت هذه الترجمة على الوجه الآتي الذي أشكل على السائل :

(And young full-breasted (mature) maidens of equal age)

وقد ترجمها بهذا التعبير الدكتور تقي الدين الهلالي والدكتور محمد محسن خان ، كما في " ترجمة معاني القرآن العظيم " الذي طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف " (ص/811) .

وهذا رابط موقعهم الرسمي :

http://www.qurancomplex.org/?Lan=ar

وكذلك ترجمها كل من (Ibrahim Walk) ، (Laleh Baktiar) .

وهي ترجمة ليست دقيقة بدرجة كافية ، ليس لأنها لم تراع ما سبق تفصيله في الملحظ العربي من كلمة (كواعب) فحسب ، بل لأنها لم تراع المعنى الدلالي المعجمي أيضا ، فكلمة (full-breasted) في الانجليزية تعني (المكتملة أو المليئة الصدر) فأوحت بمعنى فيه تقدير حجم صدر المرأة ، ووصفه بالكبر والامتلاء ، في حين أن المعنى المعجمي الحرفي للكاعب هي التي نتأ ثديها ، أو نهد ، كما سبق نقله عن معاجم العربية ، وهذا يعني بداية الظهور والبروز ليأخذ شكله الأنثوي ، وليس الاكتمال والامتلاء التامين الذي يقتضي استعمال كلمة (full).

وترجمها (Arther J. Arberry) بقوله :

(and maidens with swelling breasts, like of age)

وكذلك ترجمها (Sarwar) بقوله :

(maidens with pears-shaped breasts who are of equal age)

وأيضا ترجمها (Pickthal A. Shakir) بقوله:

(And voluptuous women of equal age)

وكلها ترجمات تستوحي المعنى الحسي ، ووصف الثدي بشكل الكمثرى أو الضخامة أو الإثارة . وهي تعبيرات غير دقيقة عن مقصود اللسان العربي .

الفريق الثاني : راعوا ما قررناه سابقا ، وترجموا معنى كلمة (كواعب) ضمن سياقها الذي يريده اللسان العربي ، وليس بالمعنى الحرفي غير المقصود . ونحن نورد هنا هذه الترجمات ، وبجانبها اسم المترجم ، وندعو إلى تصويب الترجمة إليها ، وأفضلها – في نظرنا – ترجمة (Maulana) بقوله:

(And youthful (companions), equals in age)

وبقية الترجمات الصحيحة هي:

Marmaduke Pickthall....(And maidens for companions)

Abdullah Yusuf ali..... (Companions of equal age)

Muhammad Taqi Uthmani....(and buxom maidens of matching age)

والله أعلم .